صدى الحرية

أسبوعية ثورية اجتماعية
توعوية منوعة

للتواصل وإرسال المشاركات:

Facebook / SadaALhoryeh ** freequd@gmail.com

فريق QMT قدسيا الإعلامي

صدى الحرية / العدد 97 / الجمعة 6 / آذار / 2015

من ذاكرة التاريخ

عدالة مفقودة .. | من باع دمشق؟

بين يدي العام الخامس للثورة الشعبية

مما علمتني الثورة | في عصر الديكتاتوريات

عدالة مفقودة..

العدالة المفقودة الشكوى الدائمة وكثرة المشاكل، سمات توحي بالفوضى، مع سطوة القوي على الضعيف، وإن اتسمت بالندرة غير أنها تلقى صدىً لمكانة المعتدي، أو طبيعة الحدث، وتغيب المحاسبة، البعض يبررها بقوة السلاح فالعدالة تخضع لحكم الأقوى، آخرون يرون بأن غياب دور الدولة والقانون أزم الأمور، بينما يظن آخرون أن البيئة الأسرية والالتفاف حولها لعب الدور الهام في تغييب "العدالة"، إذ لا يمكن الخروج من تحت هذه العباءة على الأقل لدى الكثيرين.

المجتمع مريض، أقرب للموضوعية في الوصف، ولا يمكن بحالٍ من الأحوال القول بتفكك المجتمع، لكن الثورة وضعتنا أمام "مكاشفات" لواقع المجتمع السوري، وبينت مكامن الخلل فيه ونقاط ضعفه، فقد برزت في السنوات الأخيرة "الأنا" على السطح، والتنازع لتحصيل المكاسب والزعامات الفارغة، متزامنةً مع انسحاب الكثيرين بعد تسلل اليأس إلى قلوبهم.

فإذا حاولنا تقريب الصورة نجد أكثر الذين يشتكون، هم ممن كان يضع في حسابه أن الثورة على النظام السوري هي مرورٌ بنفقٍ قصير سرعان ما ينتهي، فكان الواقع مخالفاً لرؤيته، فآثر الانسحاب، وأما الغالبية فهم ممن صمتوا أمام ما يحصل وأخرجهم السأم من صمتهم، باختصار، النخبة لا تريد المشاركة، والعامة تريد أن تأكل وتنام ملأ الجفن.

يمكن القول بغياب "الإنصاف"، لكن قبل ذلك ينبغي النظر إلى اعتبارات الوضع في المدينة والتي تلزم أموراً، وتلغي أخرى، مكونةً قناعةً بأن "الظلم" مستشرٍ، وأن لا فائدة من "مكتب الشكاوي"، كجهةٍ لحل النزاعات والخلافات.

لكن هل يمكن القول ب"فشل الثورة"؟.

الإجابة تأتي من خلال معرفة هامة وقاعدة أساسية للعمل الصحيح، لا يمكن لمكتب الشكاوى أن يفض نزاعاً ما لم توجد النية الصحيحة بإحقاق الحق، ومن بعدها المشاركة في إيجاد حدودٍ لغطرسة الظالم، أو المعتدي على أقل تقدير.

فما هي آليات الخروج من تلك الحالة؟

أولاً: عودة كلٍّ منا إلى دوره، بعيداً عن النظرة الآنية، والحساسيات المضيعة والمهدرة للوقت.

وثانياً: عبر وعي الناس لدورهم في النقد البناء والمشاركة الفاعلة في تحقيق العدالة بعيداً عن التعصب الأسري والتحيز لطرفٍ على حساب الآخر.

ثالثاً: فهم المرحلة وبأن أي حلول جذرية مستحيلة في ظل الواقع المعاش، وإنما السعي لأفضل حدٍ من حدود الإنصاف ومحاسبة المعتدي والمقصر إذ من المستحيل في ظروف كالتي تعيشها البلاد إيجاد حالة لفض النزاعات بشكلٍ جذري، دون وجود نصٍ قانوني، بالتالي تصبح قابلية التطبيق على الجميع دون استثناء حالة طبيعية.

رابعاً: نحتاج لتسليط الضوء على مفهوم العدالة والقانون، وهو ما يختلف حوله الناس هنا، والتفريق ضرورة في هذه المرحلة، حيث تختلف العدالة عن القانون، فالعدالة هي القانون الإلهي، وأما القانون فهو من وضع البشر، وقد ينسجم أو يختلف مع العدالة.

مفهوم العدالة لا يخضع أبداً لتعريفات الناس، وتصوراتهم، كما تبين، إنما نحتاج للفاعلية وأخذ الدور المبادر، دون انحياز، والنظر إلى المستقبل إلى ذلك تعيش المدينة أجواءً هادئة، مع تخيمٍ واضح لارتفاع أسعار المواد الغذائية.

من باع دمشق؟

باتت مليشيات حزب (حسن زميره) في دمشق تشبع رغبتها في صَبْغِ العاصمة بشعاراتها الطائفية السافرة في محيط المربع الشيعي الذي تسيطر عليه، وسكان دمشق باتوا يعلمون أن ميليشيات حزب الشيطان أصبحت تسيطر كاملاً على أحياء العاصمة القديمة، ومن ذلك حي القيمرية والجورة وشارع الأمين، وكلها تقع تحت سيطرته، وقد نصبَ فيها عدداً من الحواجز هناك، ورفع عليها أعلامه وشعاراته الدينية، ومنها عددٌ من الأعلام الصفراء التي كُتِبَتْ عليها عبارة الثأر للحسين، وتشهد تلك الأحياء بيع عقارات للشيعة بتسهيلات حكومية من وزارة السياحة السورية، كما تشهد نشاطاً كثيفاً لعناصر تلك ميليشيات الشيعة التي لم تدَّخر أي فرصة لإظهار سيطرتها ووجودها في دمشق إلى درجة الوقاحة، من ذلك ما كان قد ظهر في الجامع الأموي من ممارسات طقوس اللطم وشعائر النجاسة التي اشتهر بها هؤلاء، وكذلك في الأسبوع الماضي شهدت ساحة باب توما إحدى أشهر الساحات في مدينة دمشق توزيع الحلوى ابتهاجا بسيطرة الحقد الشيعي على (مدينة الأمويين) على حد تعبيرهم، وتمَّ رفع أعلام ميليشيات حزب العهر الطائفي والتذكير بقتلاه، وعمد الحزب إلى إغلاق ساحة باب توما في إشارة منه إلى اتساع نفوذه في العاصمة دمشق، وكل ذلك على مرأى السوريين من أبناء العاصمة، ورفع عناصره رايات سوداء بمناسبة ذكرى مقتل ما تسمّيه الميليشيات قائد المقاومة عباس الموسوي قبَّحَ الله مثواه، واللافت في هذه الحادثة أن إغلاق ساحة باب توما ورفع الرايات السوداء فيها، ولم يعد خافياً أن هناك مربعاً أمنياً لعناصر حزب الشيطان غير معلن ممتد بين حي الجابية وصولاً إلى باب شرقي من جهة، ومن ساحة باب توما إلى شارع الأمين من الجهة الثانية، حيث أن هذه المنطقة تقع كاملة تحت سيطرة الحزب مباشرةً، والحواجز المنصوبة هناك تحت إشراف مقاتليه، وبات بعض التجار في تلك المنطقة يضطرون إلى وضع لصاقات مؤيدة لحزب اللات لكي يتم تيسير مرور البضائع الواصلة للتجار في سوقي الحميدية والبزورية، وقد عمـــــــلت تلك المليشيات بمســـاعدة إيران على استثمار الفكر الشيعي المبني على الخرافة وسلطة القبور والثأر المزعوم تحت شعارات طائفية مِنْ مِثْلِ (يا لثارات الحسين ولن تسبى زينب مرتين) وصوَّروا المشهد وكأن المهدي المنتظر هو الذي يأمرهم بالفزعة لحماية مقدساتهم وهو الذي يقود معركة الثأر للحسين من عاصمة الأمويين وهذا التحريض الطائفي هو الأسوأ في التاريخ ومن اطلع على الفكر الشيعي من مصادرهم سيعلم أن الشعب السوري يتعرض لاحتلال عاصمته، ولم تعد إيران تخفي هذه النزعة في السيطرة على دمشق من باب الهراء الطائفي واجترار التاريخ المشوَّه، وظهر ذلك في تصريحات مسؤوليها، ففي مقابلة مع مهدي طائب أجرتها وكالة الأخبار الإيرانية، وهو رئيس مقر الحروب الناعمة التابع للحرس الثوري الإيراني، يقول: "على إيران أن تستمر في تقديم الدعم للمقاتلين في سوريا والعراق ولبنان واليمن حتى لو كان ذلك على حساب قوت الشعب الإيراني، ويجب على الشعب الإيراني أن يقلل من طعام سفرته من أجل نصرة ودعم المقاتلين في سوريا والعراق ولبنان واليمن، ولو خسرنا سورية لا يمكن أن نحتفظ بطهران، ولكن لو خسرنا إقليم خوزستان (الأهواز) سنستعيده ما دمنا نحتفظ بسورية" ووصف سورية بأنها المحافظة الإيرانية الخامسة والثلاثين.

هذا الخطاب الطائفي لذلك الطبل الأجوف (مهدي طائب) سنعلّقه يوماً في رقبة مشايخ بشار الأسد الذين ما زالوا يزعمون أن بشار هو الرئيس المؤمن، وسنجعله في دبر القوميين الكذَّابين من أتباع مقولة (الجمهورية العربية السورية) الذين ما زالوا يزعمون أن سورية دولة عربية، مع أنها صارت إيرانية، مثلما زعموا من قبل أنَّها جمهوريَّة مع أنها صارت ملكيَّة توارثها بشار المقرود عن أبيه المقبور، فهنيئاً لأتباع القومية العربية ممثَّلةً بطائفة خَوَنةِ الوطن الذين باعوا سورية لإيران من بدءاً من الطويلِ الأبلهِ (بشار) إلى أقصرِ أَتَانٍ من أتباعه، وهنيئاً لمشايخ بشار من أصحاب اللحى الذين ما بقي لهم إلا أن يعلنوا التشيُّع لعلَّ إيران ترضى عنهم!!.

نبيل شبيب

بين يدي العام الخامس للثورة الشعبية
بقايا النظام تترنح.. والنصر للثوار

العام الخامس هو –بإذن رب العزّة– عام الحسم في مسار الثورة الشعبية التاريخية في سورية.

هو عام نهاية العربدة الفاجرة، فالثورة أقوى من بقايا النظام..
لو كانت بقايا النظام قادرة على "متابعة احتلالها الانفرادي للوطن" لفعلت دون استيراد ميليشيات من خارج الحدود..
كان أول من استوردت "منظمة حزب إيران في لبنان"، وقد كانت من أتباع "النظام الأسدي" فأصبحت أحد أسياده، ثم تقهقرت في مواجهة الثوار وأصيبت في أصل وجودها –رغم رقصة المذبوح في بعض ساحات دمشق– فهرع أسيادها من إيران لنجدتها، وهم يرونها "عاجزة" عن أداء مهمتها الهمجية، كعجز أمثالها من العراق وأفغانستان.
هو عام نهاية العربدة الفاجرة، فالثورة أقوى من ميليشيات إيران..
لو كانت الطغمة المتسلطة على إيران قادرة –من أجل إنقاذ ربيبها الأسدي– على الاكتفاء بمن صدّرتهم من صنائعها من "ميليشيات تصدير الوباء" لفعلت، دون أن تضيف إليهم عصاباتها من إيران مباشرة مع رؤوس الإجرام والعدوان، وتزجّ بهم في مصارعهم أثناء ممارسة الهمجية على الأرض السورية.
هو عام نهاية العربدة الفاجرة.. فيا أيها السوريون.. سورية بلد منكوب، ولكن أم النكبات فيه هو بقاء بقايا النظام وأعوانه، ولن تنتهي هذه النكبة إلا بنهايتهم، ولا طريق لذلك إلا استمرار الثورة وتصعيدها، فيا أيها المترددون من السوريين إلى الآن، ليحسم أمره منكم من لم يفعل بعد، وليتحرك الآن مع من يتحركون لإنهاء الاحتلال الأسدي الإيراني، قبل أن يصبح إيرانيا خالصا، ولا تدعوا أنفسكم –وأنتم خارج الصفوف– عرضة لأفاعيل العدوان الهمجي، فسوف تصيبكم لا محالة، بينما يتعرض للعدوان الثوار أيضاً، ولكنهم مقبلون غير مدبرين، يقدمون أرواحهم ودماءهم من أجل شعب سورية ومستقبله.. من أجلكم أنتم أيضا فأنتم من شعب سورية.
ويا أيها السوريون.. الصابرون الصادقون المتسائلون: متى نصر الله؟..

إن العام الخامس من الثورة هو عام نهاية العربدة الفاجرة.. ولقد أصبحت بقايا النظام مجرد "بقايا همجية مسلحة"، تترنّح بعد أربع سنوات من حقنها بالطائرات والدولارات.. وستسقط.
ولقد قدمتم من أجل كرامتكم وتحرركم ما لم يقدمه شعب ثائر من قبل، ولم يبق على طريق النصر إلا القليل.. بإذن الله.

و يا أيها الثوار..
الثورة بخير رغم الآلام المرافقة للتضحيات والبطولات..
ورغم تعرج السبل خلال أربع سنوات، ورغم تقهقر كثير ممن كان يزعم دعمكم من خارج الحدود، فكأنهم بنكث الوعود المزيفة، وشغل المنطقة كلها بحرب إرهابية ضد إرهاب ساهموا هم في تغذيته وتنميته وهمجيته.. كأنهم يقدمون من حيث لا يريدون خدمة جلّى لثوار سورية ولسورية وللمنطقة عبر انتصارها القادم بإذن الله، إذ يتركون هذه الثورة التغييرية التاريخية تنتصر بثوارها وشعبها فقط، دون عون إلا من رب العالمين.
يا أيها الثوار.. أنتم الشهود على ما تحققون من انتصارات حيثما تلاقت الكلمة وتراصت الصفوف، وأنتم الشهود على خطورة الثغرات بينكم، فحيثما ظهرت توجهت الطعنات إلى ظهوركم، وأخرت انتصاركم، ولن تقضي عليكم ولا على ثورتكم بإذن الله، فليكن العام الخامس عام توحيد الصفوف، وسد الثغرات، ومواصلة التضحيات والبطولات، ليكون –بإذن رب العزّة– عام الحسم في مسار الثورة الشعبية التاريخية في سورية.

شام صافي

مما علمتني الثورة .. في ما يقال هذه الأيام

يقال مما يقال أننا جيل "راحت عليه" .. هذا عنوان الجيل الحالي ويستدلون لذلك بالواقع والمنطق الذي جرت عليه الأمور وما يتوقع بعدها، كل من قال هذا الكلام فهو ينشر الخذلان من حيث يدري أو لا يدري وينشر إحباطاً لا مثيل له ولو كان كلامه عن حسن نية أو حتى عن تحليل قد يكونصادقاً في جانب من جوانبه وهي على فئات من الناس دون غيرهم، الابتلاءات تمحص الناس بشكل حقيقي وعلى درجة حرجة لتقسمهم إلى معسكرات تتمايز فيما بينها حتى ينفصلان أخيراً إلى صنفين صنف خسر وصنف ربح، والخسران والربح ومقاييسهما متعددة ولكن في ميزان الله قال لنا أن الخاسر من خسر الدنيا والآخرة. وهناك من يربح دنياه وهناك من يربح آخرته.. وفي كل الأحوال قال : نمد كلاً هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً والعطاء يمكن أن يكون فرصة تتيح للإنسان مكسباً ما.

لم أكن أعي تماماً حقيقة الغربلة للناس إلا الآن ولازلت أرى تمحيصاً صعباً أخشى أحياناً منه لقسوة الفرز بين المعسكرات في زمن جعلناه صعباً.. التمحيص يجعله الله لنا حجة علينا كي نرى بأنفسنا حقيقة أو زيف ما ندعيه وليصطفي الله تعالى من خلقه خيرتهم وينتشر الباقون في بقاع الأرض كل لما خلق له.

إن أردت أن تختار أميز من في الناس فلا تتوقع أن تعثر على غايتك في بيئة مثالية توفر لهم فيها أسباب الرفاهية، بل الاختبار لأجل الاختيار لا يكون إلا في أحد أسلوبين إما شدة وصعوبة وخشونة أو رفاهاً وترفاً كبيراً فكلاهما غربال ولو أن الأول المشقة على النفس والثاني فيه مطب الاغترار والانسياق.

وكلاً منهما لغاية يكون لأن التمرس على البقاء ضمن صراط مستقيم في أحدهما يجعل صاحبه فطناً متوقعاً لأحداث ما كان ليعرفها لو لم يمر بالتجربة. أقصد أن تمرس الإنسان على الانصياع لما أمر الله حتى في أحلك الظروف -أو أترفها - يورث صاحبها علماً ما كان ليعرفه لو هرب منه أو تهرب أو انحرف، إدراك مراد الله تعالى من الابتلاء يخفف كثيراً منه ويوجه بشكل سليم.

نعود لشعار المرحلة "هذا الجيل راحت عليه" إذا كان القصد أن الدنيا راحت فمتى كانت الدنيا ملكاً لأحد ومن طبيعتها السراء والضراء وفي قلب السراء هناك ضراء وفي قلب الضراء هناك سراء فلا بأس مطلق ولا سعد مطلق، والدنيا دار اختبار ودار عمل وحرث وزراعة وإنما الحصاد في الآخرة ولو كانت بعض الثمار جناها في الدنيا.

مهما كانت المشاق والدمار المحيط بنا فقدرة الإنسان أكبر وما ملكه الله تعالى من إمكانات لتستطيع قهر كل ما يمر به في الدنيا لأن ما لا يحتمله الإنسان جعل الله تعالى له الموت فهو غاية ما يحتمله الإنسان ولطالما لم نمت فمعنى ذلك أننا نستطيع وتأكد أيها الإنسان بأن لديك آليات تستطيع معها مواجهة كل ما تمر به فابحث عن تلك الوسائل فقط عليك إدراك مكانها وحسن استخدامها والدلالة عليها.

لم نكن نعلم أننا نستطيع احتمال ما نمر به وإذ بنا نعيشه ثم نقول أننا لا نستطيع أمراً آخر وإذ بنا أيضاً نعيشه بل ونتأقلم معه ولو كان في القلب ألف غصة وجرح ولكن الكي يشفي والنار تطهر الذهب من خبثه والغليان يصلب البيض داخله ويجعل الزبد يسيح .. حسب معدن الإنسان تكون ردة فعله على الظرف وليس الظرف هو صانع الإنسان. وليست الحقيقة كل الحقيقة "راحت علينا" بل هي نصفها فقط .. نعم "راحت" أملاكنا ولكنا كسبنا التحرر من امتلاكها لنا.

"راحت" دراستنا، ولكننا تعلمنا أعظم الدروس في الحياة وربما تعلمنا تاريخاً وحاضراً ومستقبلاً وأمماً وحياة والكثير من الدروس التي لا تعلمها ألف جامعة.

"راحت" بلدنا إنما حسب تشبثنا بها معنى الامتلاك فلا أحد يستطيع انتزاعها منا عنوة إن لم نسلمها أو نستسلم.. إذاً نحن من نريد ونحن من نتفاعل مع الظروف ونحن من يسمح .

"راحت" أهالينا، ومتى كان الموت فراقاً أبدياً .. والآخرة خير وأبقى! وفي عقيدتنا أن اللقاء لمن كانوا على درب الله المستقيم في حياة لا كد فيها ولا تعب.

"راحت" وراحت وراحت .. الكثير من الأشياء راحت نعم ولكنها أعراض تتبدل وتتغير ولا يبقى على حاله إلا هو، وحسب ما نريد أن يكون المستقبل نحن من يصنعه فإن أقنعنا أنفسنا أننا جيل ضاع ففعلاً سوف نضيع وإن أقنعنا أنفسنا بأننا من سنعيش الحرية كما طلبناها حصلنا عليها حين نعمل لذلك ما يمكن.

في عصر الديكتاتوريات

"النظام الدكتاتوري قد يبني التماثيل في الوطن، لكنه يهدم الإنسان في المواطن". (سميح القاسم).

بين الديكتاتوريات العربية والوطن حكاياتٌ لا تنتهي، كما أن بينها وبين المواطن ساحة معركة. العودة إلى الماضي لفهم الحالة وتشخيصها، ومن ثم الوقوف على طرقٍ لعلاجها، باتت ضرورة في زمن الثورات، هذه الثورات التي أتت لتغيّر الأنظمة، لا بد أن تغيّر مفاهيم الإنسان، وما علق في ذهنه من مغالطات. الوطن مفهوم يحتاج إلى تحليلٍ وتأمل، أذكر أننا لم نفصل في مقاعد الدراسة بينه وبين "القائد"، بل يكادان يتماهيان حتى يصبحان كُلاً واحداً، والنتيجة بلا شك ما رأيناه في سورية.

ما هو الوطن؟ سؤالٌ قد يكون ساذجاً، لكن مدلولاته البعيدة ارتبطت برفض التغيير، أو قبوله، إذا علمنا أنه يُقصد من تغيير "نظام مستبد" مؤامرة على الوطن، ونيل من عزته وكرامته. إنها جدلية تستعصي على تحولت انتماءاتهم، حتى الطائفية، إلى هذا المفهوم الضيق.

شكلت العقود الماضية من حكم البعث بنية مجتمعية، لها مفاهيمها التي حلت محلّ القيم والمفاهيم الإسلامية، ولعل بعض المصطلحات استمد قوته وشرعيته، حين عمل نظام الأسد على ربطه بقيم الإسلام، ليستمدّ بذلك وجوده وبقاءه في الحكم. وعلى سبيل المثال "القضية الفلسطينية"، وتتمثّل هذه المفاهيم بعدة محاور، يبدو أن أبرزها كان "الوطن، المواطنة، الوطنية"، إضافةً إلى أخرى، مثل: "العروبة والقومية، الإسلام المتطرّف"، لتصبح فيما بعد أفكاراً راسخة في العقول، وجب علينا، اليوم، وضعها في ميزان الشرع، وإلغاء ما حملته في طياتها من مغالطات تاريخية، وعقائدية، وسياسية، لأن مثل تلك المغالطات أفرزت مجتمعاً معتلاً ومشوّهاً.

نعود إلى الإجابة عن السؤال، ومن منطلق ما تعلّمناه، أو فهمناه، من منظور الإسلام، لنقول: الوطن وإن لم يرد ذكره صريحاً في القرآن الكريم، بصيغته هذه، فإن مدلولها أو مفهومها الأساسي أو الجوهري ورد مع تنوع في الصيغ التعبيرية، أو اللفظية، فقد ورد في صيغة "الديار، والدار، والأرض"، كما أشار العلماء. فيما انقسم الناس بين طرفين، شط منهم في فهمه، وأحجم آخرون في حب أوطانهم، فبعضهم يرى أن حب الوطن من أركان الإيمان، وغالى فيه وأزبد وأرعد، وآخرون يرون أن حب الوطن شركٌ ووثنية، وبين هذا وذاك يأتي الطرف الوسط.

تصحيح المفاهيم وإعادة ربطها بقيم الإسلام، هي الوسيلة لتخليص المواطن العربي المسلم من حالة عدم التمييز بين الوطن وقائده. الغاية، في النهاية، إعادة بناء المواطن بصورته الصحيحة قبل هدمه من بعض الأنظمة الفاسدة، ولعل أهم ما يحمله المواطن من سماتٍ تجعله مرتبطاً بأرضه ووطنه، هي العودة إلى إنسانيته التي فقدها حين فقد "كرامته"، وتنهي سنواتٍ من لعبة الأنظمة في تجيير المواطنة لصالحها، ورمي الناس بالعمالة.

شخصياً، أعتقد أن الوطن فكرة في النفس، أكثر منها تراباً نعيش فوقه، فمصر وطني كما سورية، وتركيا وغيرها من البلاد التي ترفع راية الإسلام، فالإسلام هو الإطار الذي يحدّد هذا المفهوم، ويضعه ضمن الإطار الصحيح. وواقع الأمة يحملنا ليس فقط لننظر في تعريف الوطن ووجهة نظر الإسلام فيه فحسب، بل أعمق من ذلك، إلى بناء لبنة متماسكة، تحددها العقيدة الإسلامية، وتكسر حدود سايكس–بيكو.

إياس غالب الرشيد

أهل أنيس (ـــــة) وأهل بدر

لن أنسى ما حييت برنامج (افتح يا سمسم)؛ بكل شخوصه وأغانيه التعليمية؛ التي تربى عليها جيلنا، وما زال يرن في أذني صوت الأبلة ليلى بكل ما فيه من حنان وأمومة، حيث كانت مثالا للمعلمة الأنموذج، التي افتقدناها في ثمانينيات القرن الماضي، حيث كانت المعلمات لا تقل شراسة عن جلادي البعث في فروع الأمن، ولا أنسى ما حييت أنواع العقاب ،التي نزلت على وجهي ورأسي، في وقت كنت أحوج ما أكون فيه للرعاية حتى أنمو وليس للجلد حتى أتقزَّم، ومن المفارقات التي لا تغادر ذاكرتي هي أن الجلد والعقاب كان يطال الجميع وكثير منها كان يجب أن يصوَّر ويرسل إلى برنامج الفيديو المنزلي؛ لأنها تحمل طرافة من أطفال في عمر البنفسج . ولكن صورة أي نظام سياسي تلقي بظلالها على كل مناحي الحياة، وفي الفترة التي كنت فيها أدرس المرحلة الابتدائية، كان حافظ الأسد قد فتك بحماة و إدلب وحلب، وأنهى حزبَ الإخوان المسلمين، وفي الوقت نفسه انقض دون رحمة على اليساريين، وجعلهم فلولا بين مشرد ومعتقل ومفقود، وانفرد هو بالسلطة، في هذه الفترة كانت المعلمات يمارسن على الطلاب أسلوب عناصر المخابرات، فالعقوبة تحيق بالجميع حتى ولو كانوا شطارا، وهذه طريقة حافظ الأسد في الحكم؛ الأهم هو الولاء له ، ويسقط كل شيء دونه، لذلك كنت ألجأ في المساء إلى (الأبلة ليلى) وألقى نفسي على وسادة صوتها الأمومي العذب ، وهي تعلم الأطفال، ولطالما أخذتني أحلام اليقظة، ودخلت مع الأطفال في افتح يا سمسم ..إيه إيه إيه .. الحديث يجر الحديث في هذا المسلسل الجميل كان أيضا أنيس الفتى المتشيطن .. الذي يستغل سذاجة بدر صديقه، ويوقعه في مآزق كثيرة ،ويسلب منه الحلوى والجوائز وهو راض، ولا يشعر أنه وقع في شراك خديعة أنيس إلا بعد أن يكون قد خسر كل شيء، ولا مجال للتراجع، وفي الحلقة التالية يقع بدر في الشراك نفسه . وفي الفترة نفسها كانت (أنيسة مخلوف) وكان أهلها، ولكننا لم نكن نستشعر وجودهم، ولكنهم كانوا يتمثلون طريقة أنيس في افتح يا سمسم .. حيث كانوا يتمترسون خلف كل شيء حتى تسنح لهم سانحة مناسبة للانقضاض على البلاد، وليس سرا أن آل أنيسة مخلوف كانوا منذ تشكيل الحزب القومي الاجتماعي السوري) وهو أحد الأحزاب النازية العربية المتطرفة) أقول كانوا من أوائل الممجدين له المروجين له في الســـــــاحل السوري ، ولم تنقطع صلتهم به البتة حتى مع صعود البعثيين إلى السلطة . وحتى بعد أن لف حافظ الأسد أنشوطة البعث حول عنق سوريا ظل (أهل أنيسة مخـــلوف) يدعمون هذا الحزب، وكانت حتى هذه اللحظات شركات رامي مخلوف هي الداعم لكل نشاطات هذه الحزب الذي كان يدا تشبيحية ضاربة أثناء الثورة السورية .لقد كانت أنيس (ـة) فاعلا في الوضع السوري منذ بداية الحركة التعصيرية) ويروي باترك سيل مؤرخ حافظ الأسد لقطة مهمة في كتابه عن حافظ الأسد :أنه أثناء الصراع بين حافظ الأسد و صلاح جديد، وحينما بلغت الروح الحلقوم . رأت أنيس (ـة) في المنام أن حافظ الأسد سينتصر على أعدائه، وقد أبلغته بهذا المنام، وشجعته على الخطوة الأخيرة، وهي إلقاء القبض على صلاح جديد وأعضاء القيادة القطرية . وبعدها بدأ أهل أنيس(ـة) يتناسلون في السلطة؛ فبدأ يسطع نجم أخوها محمد مخلوف، الذي خلف لنا رامي مخلوف وحافظ مخلوف هذا الأخير الذي يقود أخطر أجهزة أمن الدولة التي روعت الناس قبل الثورة وبعدها . وكان عندنا وما يزال وسيظل (أهل بدر).. تلك الموقعة التي كان فيها الرسول صلى الله عيه وسلم وصحبه ضعافا يحيط بهم المنافقون والمخذِّلون والأعداء من كل جانب، ولكن هذه الكوكبة التي عدَّتُها 313 رجلاً ثبتت في معركة غير متكافئة ؛ معركة غيرت معادلة السلطة في الجزيرة العربية؛ مؤذنة بميلاد واقع سياسي وفكري جديد... هؤلاء البادئون هم البدريون .. وكل من يبدأ عملا جليلا ،غير معتمد على أحد هو بدري أيضا لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم) : لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفر لكم ،وقال :(إن الملائكة الذين شهدوا بدرا لفضلاء على من تخلف منهم) وشهدنا أيضا البدريين الذين بدأوا الثورة السورية، وأول من صرخ في وجه طاغية الشام، وكأننا لا نراهم الآن . وفي هذا المقام يلح على ذهني سؤالان :أين البدريون الذين ابتدأوا الثورة وشقوا عصا الطاعة؛ أنس الشغري فتى بانياس الجميل؟؟..أين منتهى الأطرش التي دخلت لتعزي أهل دوما منذ أيام الثورة الأولى؟؟؟ أين أحمد الخطيب الذي نقل صورة المجازر في بداية الثورة ؟؟؟ أين نشطاء درعا الذين أبدعوا في إدارة الحراك السلمي؟؟؟ وأين وأين ؟؟ ..والسؤال الثاني من هؤلاء الذين يتصدرون المشهد السياسي للمعارضة؟؟ من هؤلاء الذين لم يشهدوا بدرا أو الخندق، وجاؤوا فقط ليشهدوا رهان داحس والغبراء.

وبعد اللجوء ... النظام يتبرع بأملاك السوريين

لم تكن الخيمة مجرد مأوىً لهم، بقدر ما كانت واقعاً جديداً أكثر بؤساً وأقل إنسانية، ومع أن سنواتٍ مرّت على جرحهم المفتوح، لا زال السوريون في مخيمات اللجوء، ضحايا بتقدم الزمن وتقادمه، وربما يكون هؤلاء الوجه الأبرز للأزمة (كما درج الإعلام السوري على تسميتها) أو الثورة.

أولئك تركوا خلفهم زمناً مضى، أحلاماً وذكريات، شهداء وجيران وأحبة، دفنوهم على عجل أو غادروهم بلا وداع، وفي أذهانهم لا تزال بيوتهم قائمة بأعمدتها وأدراجها، بين الغرف أحلامٌ دفينة وأسرارٌ صغيرة، وعلى الأسطح أوهام بمستقبلٍ قادم، كـ عرسٍ لشابٍ وصبية، في زفة بين الحارات، وفي مداخل البنايات وعدٌ بين صديقين، لم يقطعه إلا هدير طائرة.

من هناك جاؤوا، من سورية، ساروا لأيامٍ، كان للموت فيها أكثر من وجه، مرةً قبالة رصاصة، وأخرى فوق حاجزٍ شائك، وفي اللسان كما في القلب دعاء بالنجاة، والخطى تحث الخطى، وفي النهاية كانت الخيمة بانتظارهم.

وفي بيان للأمم المتحدة ٨/ ٢٠١٤ أكدت أن عدد اللاجئين السوريين تجاوز حاجز الـ٣ ملايين شخص، وقالت المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، في بيان في الفترة نفسها، إن ما يقرب من نصف السوريين اضطروا إلى مغادرة ديارهم، والفرار للنجاة بحياتهم، بسبب تعرض السكان في بعض المدن للحصار والجوع، فيما يجري استهداف المدنيين وقتلهم دون تمييز.

وأشارت مفوضية اللاجئين في بيانها إلى أن واحداً من بين ثمانية سوريين على الأقل، فروا عبر الحدود، وهو ما يساوي تماماً مليون شخص منذ أكثر من عام، إضافة إلى وجود نحو ٦ ملايين و ٥٠٠ ألف نازح داخل سورية، وأكدت أن أكثر من نصف هؤلاء اللاجئين والنازحين من الأطفال.

مؤخراً تحدثت شخصياتٌ في محافظة ريف دمشق، عن مشروعٍ لقرار، يُفترض أن يدرسه مجلس الوزراء قريباً، ويقضي بإعطاء أراضي المسلحين (كما أسماهم) لذوي الشهداء، وهم بطبيعة الحال من المؤيدين للنظام عسكريين أو شبيحة، وهي فكرة قذرة لا تعادلها أخرى، لمجرد طرحها فكيف إذا أُقرت فعلاً!.

إن فكرة شبيهة حقيقةً قادرة على إحداث ضررٍ لا يقل عما تتسبب به أي طائرة مليئة بالبراميل المتفجرة، وتضيف أيضاً فضيحة أخلاقية جديدة لفضائح النظام، أما الأسوأ فهو غياب جهات قادرة على توثيق الممتلكات في المناطق المحررة والخاضعة لسيطرة الجيش الحر، وهي مشكلة قد تتضخم بمرور الزمن، واتساع رقعة الصراع العسكري تالياً ارتفاع أعداد اللاجئين، وهكذا في فوضى لا يجب أن تستمر حرصاً على حقوق السوريين، وهو ما ثاروا من أجله أصلاً.